

سد سبأ العظيم

حكايات
من
الماضي



دار النفائس



حكايات النفائس للأطفال



سندباد العظيم

باشراف

عدد من الاخصائيين

زكريا كايا

دار النفائس
ص ب ٦٣٤٧
بيروت

الطبعة الأولى : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م
الطبعة الثالثة : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

كانَ في قَديمِ الزمانِ في بلادِ اليَمنِ مَلِكٌ عظيمٌ اسمهُ « يَعْرُبُ بن قَحْطَان » .

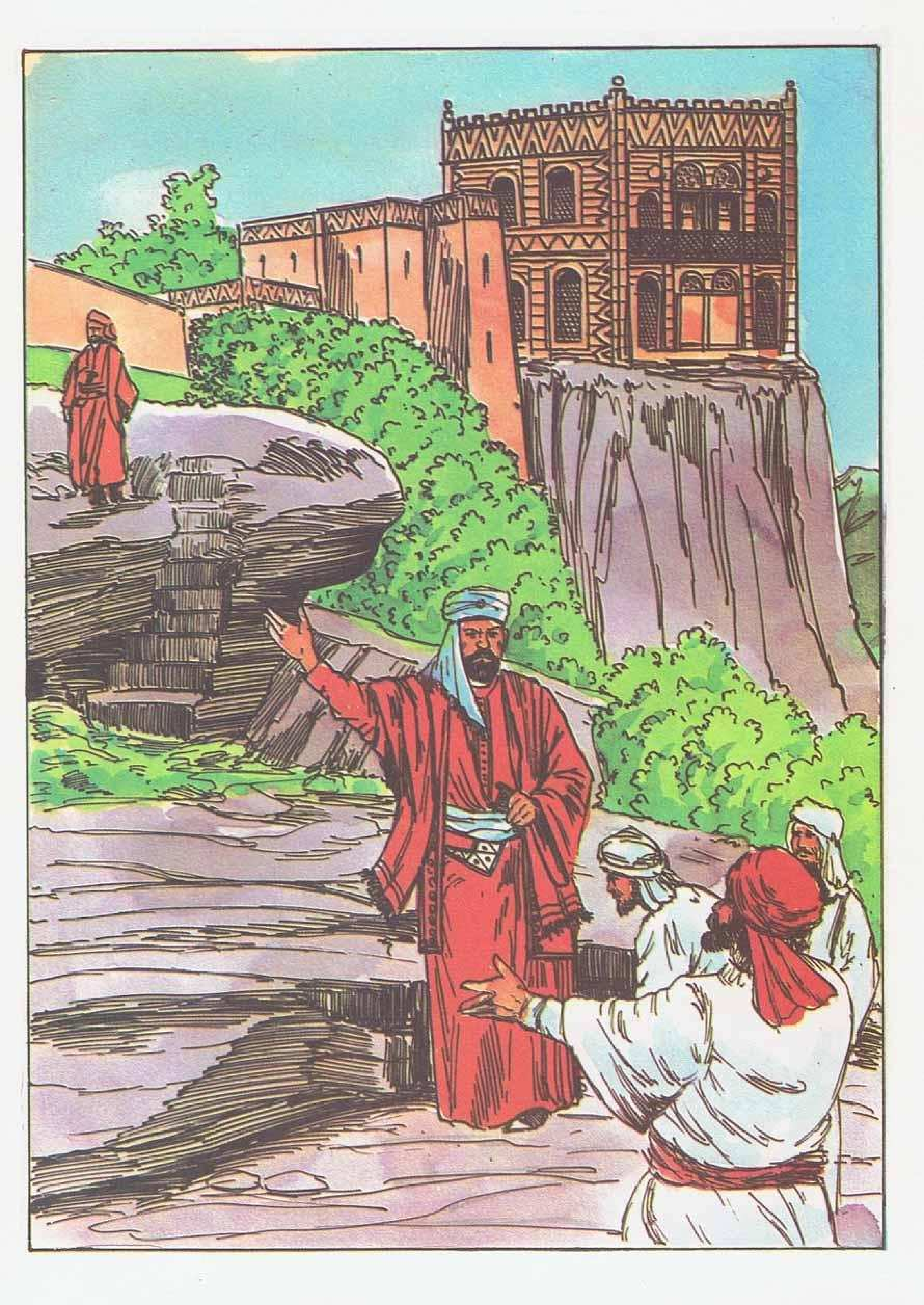
استطاعَ هذا الملكُ ، بقيادَتِهِ الحكيمةِ ، أَن يتغلَبَ على أَعدائه جَميعِهم ، ويحكُمَ مدةً طويلةً منَ الزمنِ .

وكانَ لهُ عَددٌ كبيرٌ من الإِخوةِ والأَبناءِ ، اعتمدَ عليهم في تسييرِ أمورِ البلادِ الواسعةِ التي حكمها .

وقد تلا « يَعْرُبَ » في الملكِ ابنُه « يَشْجُبُ » ، وكان ملكاً عادلاً يملِكُ قصراً جميلاً بُني فوقَ ربوةٍ عالية ، وزُيِّنَ بالصورِ والنقوشِ الهندسيةِ ، وكان له ولدٌ ذكيٌّ اسمُه « سَبَأ » .

كانَ الابنُ يُشبهُ أَباهُ في أَخلاقهِ وحبِّهِ للشعبِ ، لكنه كانَ يكرهُ الحفَلاتِ والاجتماعاتِ الصاخبةَ التي كانت تجري في قَصرِ أَبيه الملكِ . لذلك كانَ يقضي مُعظَمَ أَوقاتِه في الحُقولِ والبساتينِ مع العمالِ والفلاحينَ ، يشاركُهم حياتَهم ويتحسسُ آلامَهم ، ويفكرُ في حلِّ مشاكلِهم .

ذلكَ السلوكُ جعل الملكَ يخافُ على مستقبلِ ابنِه ، فالآباءُ لا يهمهم شيء في الحياةِ أَكثرُ من مستقبلِ أَولادِهم ،



لذلكَ قرَّرَ مفاتحةَ ولدِه في الأَمرِ فقال له :

ـ يا بُنَيَّ ، إنَّ غيابَكَ عن الاجتماعاتِ التي تُعقدُ في القصرِ يُضيِّعُ عليكَ فرصةَ التعلمِ واكتسابِ الخبرةِ ، فتعجز في المستقبلِ عن إدارة شؤونِ الدولةِ .

أَجابَه سبأٌ قائلاً :

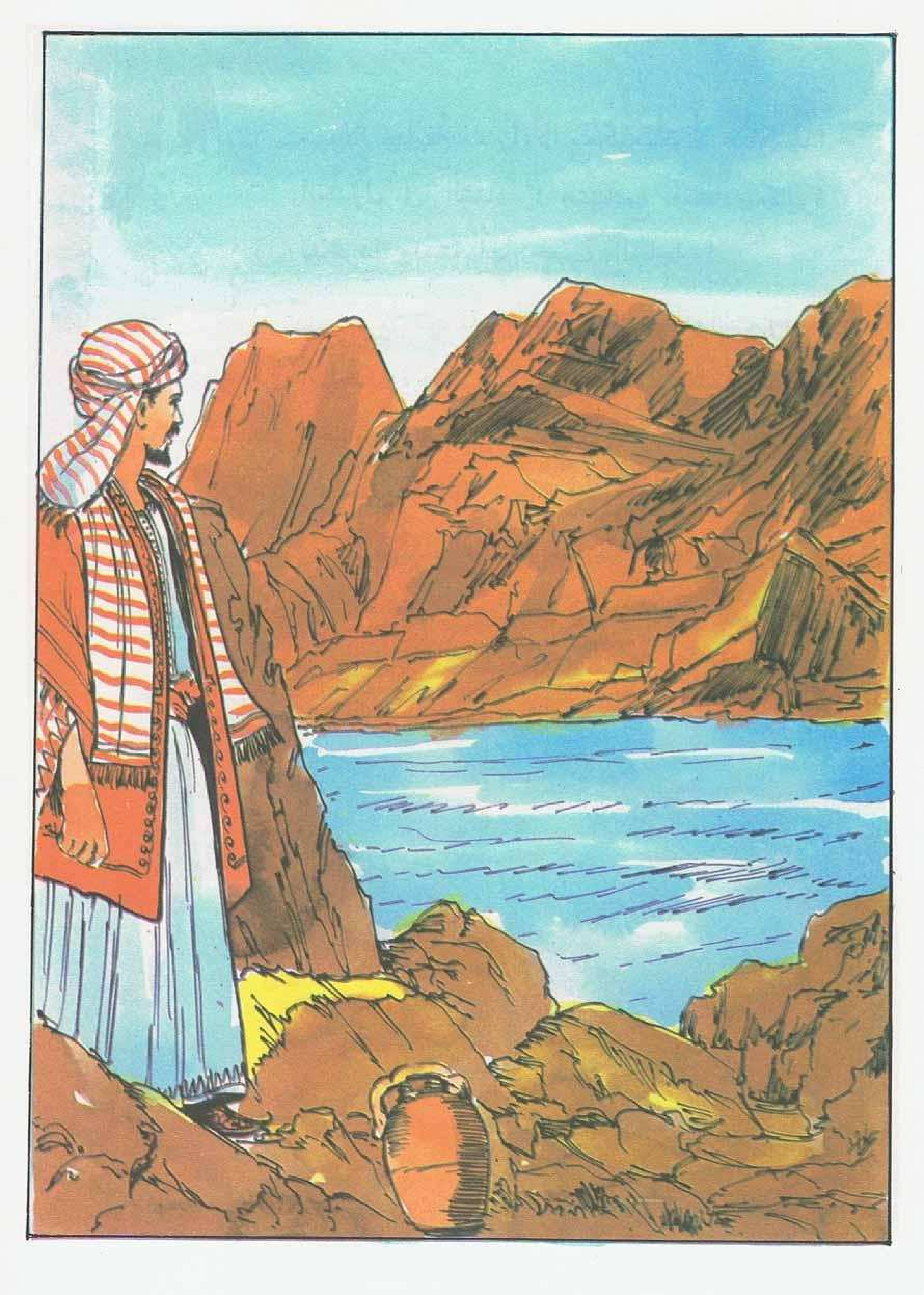
ـ أَنتَ على حقٍ يا أَبي ، يجبُ على الإنسانِ أَنْ يتعلَّمَ ، لكنَّ اكتسابَ الخبرةِ يجبُ أَن يكونَ عملياً ، ومن الأَفضلِ للحاكمِ أَن يختلِطَ بالشعبِ ليتعرَّفَ على آلامِه وحاجاتِه فيتداركَها .

اقتنعَ الملكُ بوجهةِ نظرِ ابنهِ ودعا لهُ بالتوفيقِ .

وذاتَ مرَّةٍ خرجَ سبأٌ من قصرِ أَبيهِ ، ومشى نحو الحقولِ مُطْرِقاً يفكِّرُ في أَمرٍ مُهمٍ هو : كيفَ يمكنُ توفيرُ المياهِ للبلادِ عندما تنقطعُ الأَمطار ؟

وقفَ على قمةِ جبلٍ ، وأَخذ يتأَملُ جدولاً صغيراً ينسابُ في أَعماقِ الوادي ، فحدَّثَ نفسَه قائلاً :

ـ إذا كانت قطراتُ المطرِ الصغيرةُ ، تتجمعُ فتشكلُ





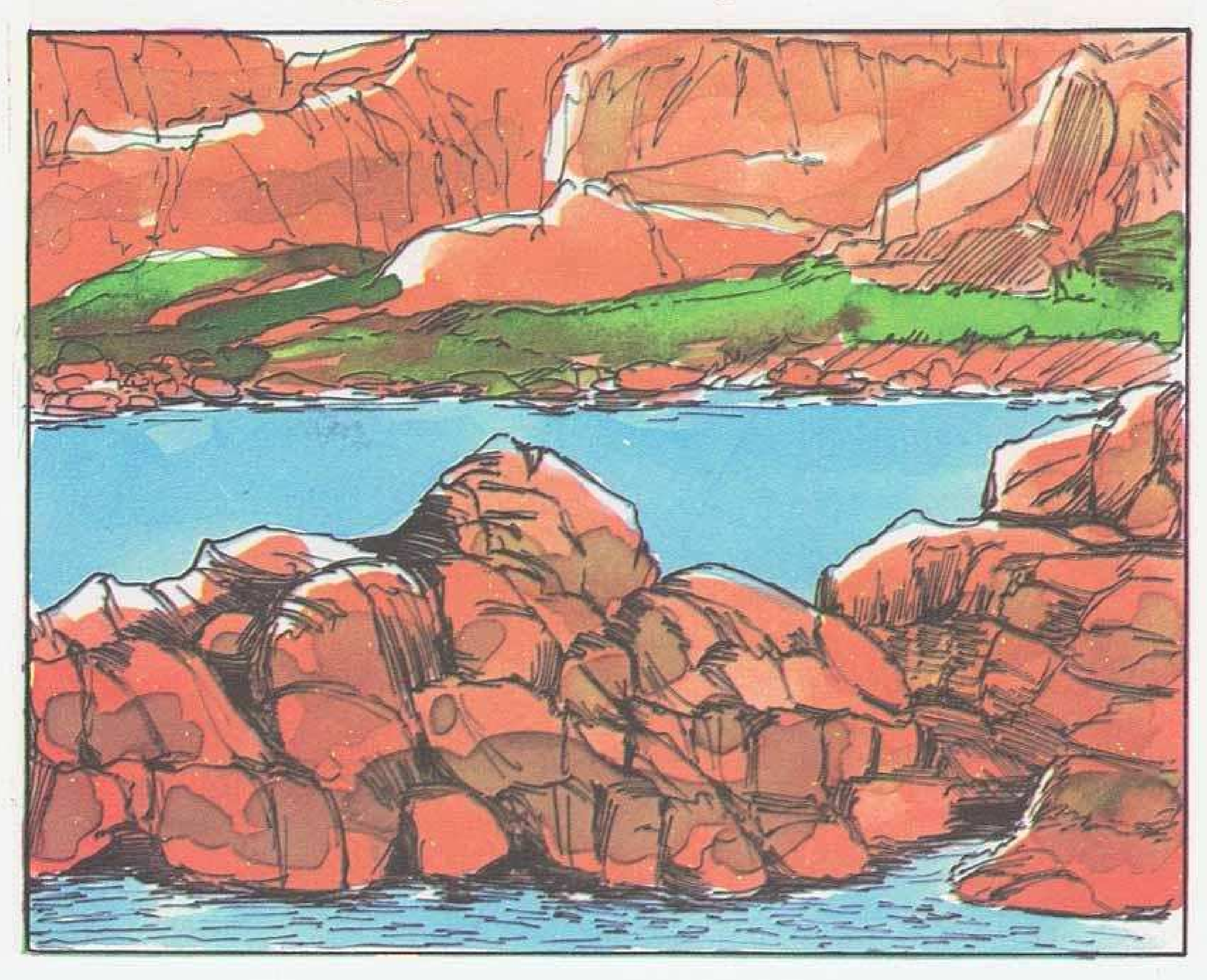
سيولاً جارِفةً ، أفلا يمكِنُ خزنُ مياهِ هذا الجدولِ في الشتاءِ ، فتتجمع مياهٌ كثيرةٌ ندَّخرُها ونستعملُها حسبَ الحاجةِ ؟

وأرادَ أن يُجريَ تجرِبةً ، فنزلَ إلى الجدولِ ، وأخذَ يردُم مجراهُ بالحجارةِ والترابِ ، فلاحظَ أن المياهَ تتجمعُ ثم تجرُفُ الجدارَ الصغيرَ الذي أنشأَه . وعندما تعب من تكرارِ العمل ، جلسَ في ظلِّ شجرةٍ قريبةٍ وأخذَ يفكِّر فيما يجبُ عليه عملهُ . وبينما هو على هذه الحالِ وقعَ نَظَرُهُ على يمامةٍ تحلِّق في الفضاءِ ، وهي تحمِلُ في منقارها قَشَّةً صغيرةً ثم تقفُ على رأسِ شَجَرَةٍ عاليةٍ ، فتضعُ القشةَ بين أغصانها ، ثم تطيرُ وتغيبُ عن النظر ، لتعودَ بعد قليلٍ وقد أحضرت

قَشَّةً أَخرى تضعُها مع الأُولى . وهكذا استمرت تفعلُ طِوالَ النهار ، فقالَ في نفسِهِ :

– إذا كانت هذهِ اليمامةُ الضعيفةُ تستطيعُ بفضلِ حكمتِها وصبرِها أَن تحقِّقَ هدَفها وتبنيَ عُشَّها . فكيفَ لاَ أَستطيعُ أَنا بمساعدةِ الشعبِ كُلِّه أَن أَبنيَ سداً عظيماً ، يجمعُ مياهَ الجداولِ والأَمطارِ ؟

عادَ سبأٌ إلى قصرِ أَبيه ، وأَخذ يشرحُ له أَفكارَه ،



لكنَ الملكَ لم يهتَّمَ كثيراً لحديثِ ابنِه ، لانشغالهِ بـأُمورٍ أُخرى ، مما أَزعجَ سبـأً وجعله يفكِّرُ في التخلي عن مشروعهِ .

لكنه عندما عادَ إلى نفسهِ تذكرَ كفاحَ اليمامةِ في بناءِ عُشِّها ، فلم ييأَسْ ، بل ذهبَ إلى المهندسِ البابلي المشهورِ « حبيبٍ » وشرحَ لهُ مشروعَه وأَفكارَه .

كان حبيبٌ مهندساً بارعاً ، وكان يهتمُّ بـأَيةِ فكرةٍ تُطرحُ عليه ، لذلك خرجَ مع سبأٍ إلى الوادي . ووقف معه عند المكانِ الذي حاولَ فيه سبأٌ بناءَ سدِّهِ الصغير . فحسَبَ عددَ العُمَّالِ الضروريين لبناءِ السد ، وكميةَ المياه التي يمكنُ خزنُها وكيفيةَ بناءِ الأَنفاقِ والأَقنيةِ لنقلِ المياهِ إلى المزارعِ والحقولِ ، وعندما انتهى من حساباته هتفَ بصوتٍ عال :

ـ ياإلهي كيف لم أتنبهْ لهذا الأَمر ؟ .

ثم التفتَ إلى سبأٍ قائلاً :

ـ أَيها الأَميرُ إن إقامةَ سدٍّ في هذا المكانِ سيكونُ أُعجوبةَ العصور . وإنني أَطمحُ أَن أُظهِر مواهبي هنا في « اليمنِ

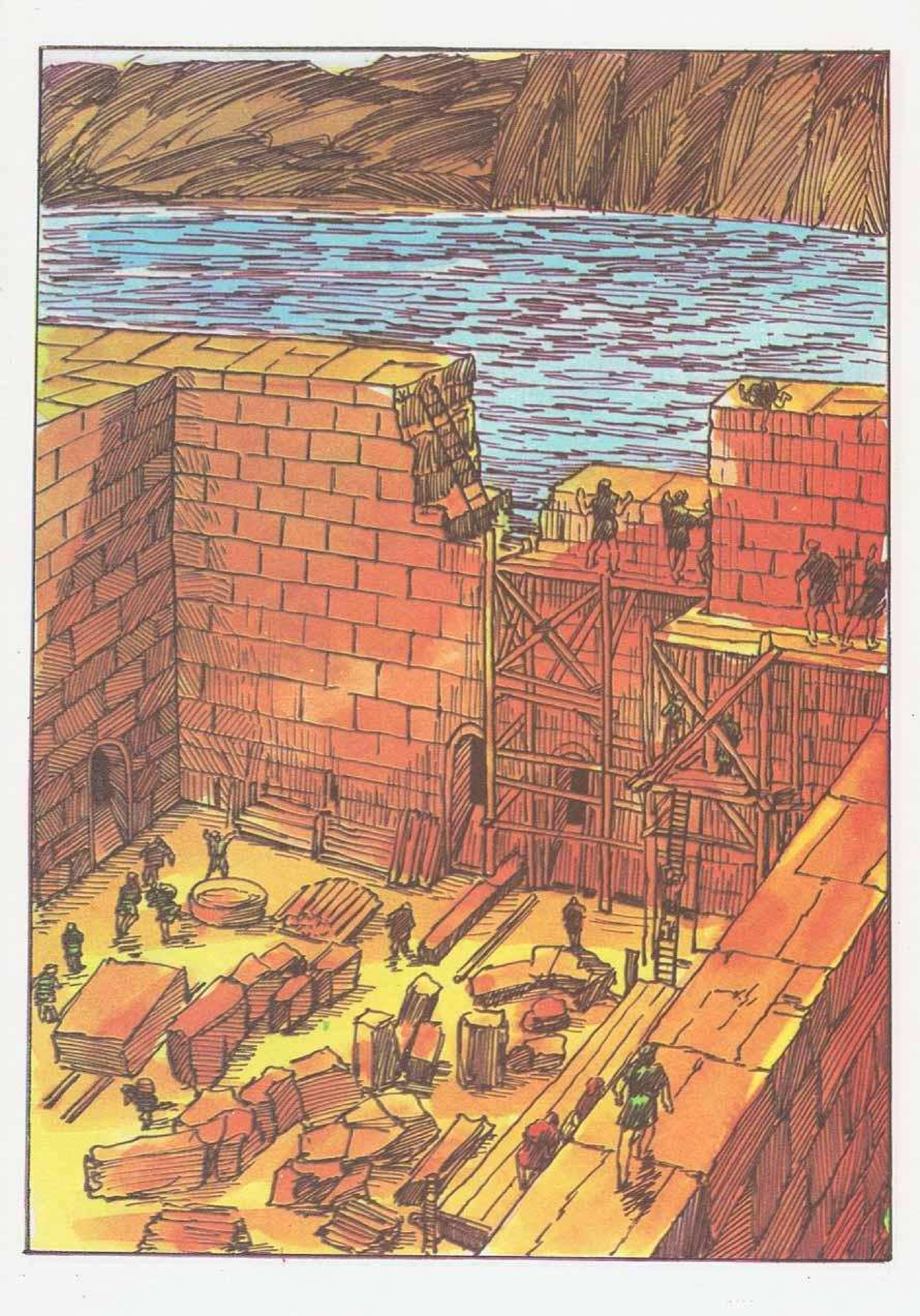


السعيد » فأَشتهرُ كما اشتهرتُ في بلادي بابلَ العظيمة .

وحدثَ ان انحبستِ الأَمطارُ في تلك السنةِ ، وحلَّ القَحْطُ بالبلادِ ، وبدأَتْ مياهُ الآبارِ بالجفاف . وبينما كانَ الناسُ يهجرونَ قراهم متَّجهين إلى أماكنِ تجمُّعِ المياهِ الصغيرةِ في الجِبالِ ، كانَ المهندسُ البابليُّ حبيبٌ يضعُ مع سبأٍ مخططاتِ مشروعِه العظيمِ .

وعندما دعا الملكُ « يشجبُ » كبارَ قومِه إلى الاجتماع في القصر لتدارسِ الأَمر ، والبحثِ عن حلٍّ يَحميهم من الكارثةِ التي حلَّت بهم ، حضَرَ سبأُ والمهندسُ البابليُّ ومعهما خرائطُ مشروعِهما ، وجلسا بين الناسِ يستمعونَ إلى المناقشاتِ .

بدأَتِ الجَلسةُ ، واحتدَمَ النقاشُ ، ولم يستطع المجتَمِعونَ الوصولَ إلى نتيجةٍ . فبعضُهم أَشار بالهجرةِ إلى ما بينَ النهرينِ في بلادِ العراقِ حيثُ تكثرُ المياهُ والمراعي . ومنهم من اقترحَ هِجرةً قريبةً إلى أماكنِ تجمُّعِ المياهِ في الجبال بانتظار هطولِ الأَمطارِ ومنهم من قدَّم اقتراحات غريبةً لا تقبلُها العقولُ السليمة .



وعندما عَلت أَصواتُ القومِ بالنقاشِ ، وقفَ المهندس البابليُّ وقالَ بصوتٍ هادىء :

- أَيها القوم ، إن أَفضل حلٍ لمشكلتنا هو نجاحُنا بالاحتفاظِ بمياهِ الشتاءِ في خزانٍ كبيرٍ ثم نقلِها واستعمالِها عندما تدعو الحاجةُ إليها في فصل الصيف .

وعندما سمعَ القومُ المجتَمعونَ هذا الكلام ، حدثَ هَرْجٌ ومَرْجٌ ، وعلت بعضُ الأَصواتِ : لا وقتَ للمِزاحِ وإضاعةِ الوقتِ الآن ، ولكنَّ هدوءَ « حبيبٍ » جَعل جميعَ الحضورِ يصمتون ، ثم قال أَحدُهم :

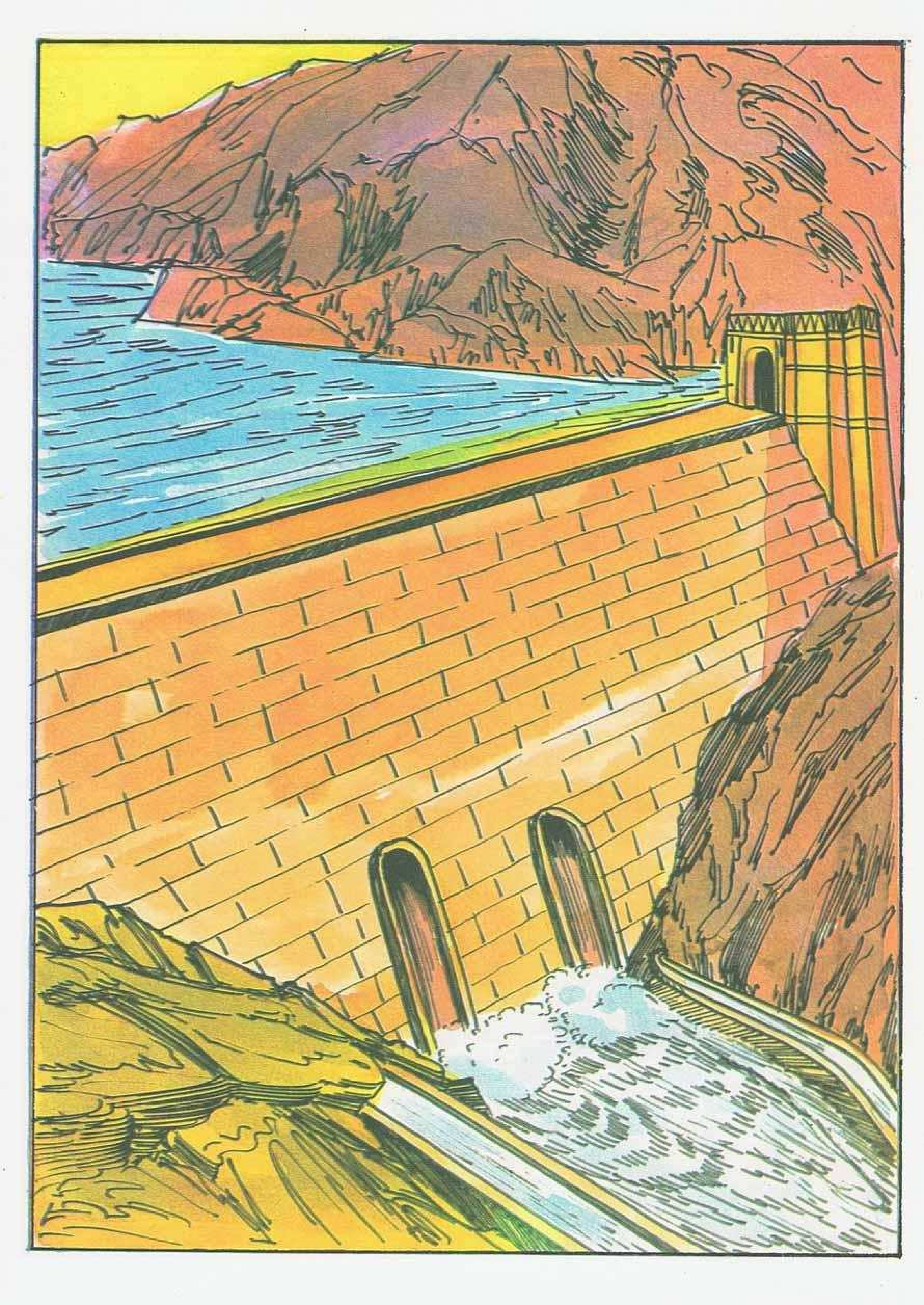
- وكيف نجمعُ المياهَ وننقلُها ؟

ردَّ حبيب :

- الجوابُ عند الأَميرِ سبأٍ.

تطلَّعَ الجميعُ إلى الأَمير سبأٍ بإكبارٍ . فأَخذَ الأَميرُ يشرحُ لهم مشروع السد مستعيناً بالمخططات التي أَعدها المهندس البابلي « حبيب » .

ودار النقاشُ من جديد ، وتضاربت الآراءُ ، ثم انفضَّ



الاجتماع بالاتفاق على إقامة « سد سبأ » في الوادي الكبير . وهو السدُّ ذاتُه الذي يسمونه أيضاً « سدَّ مأْرِب » .

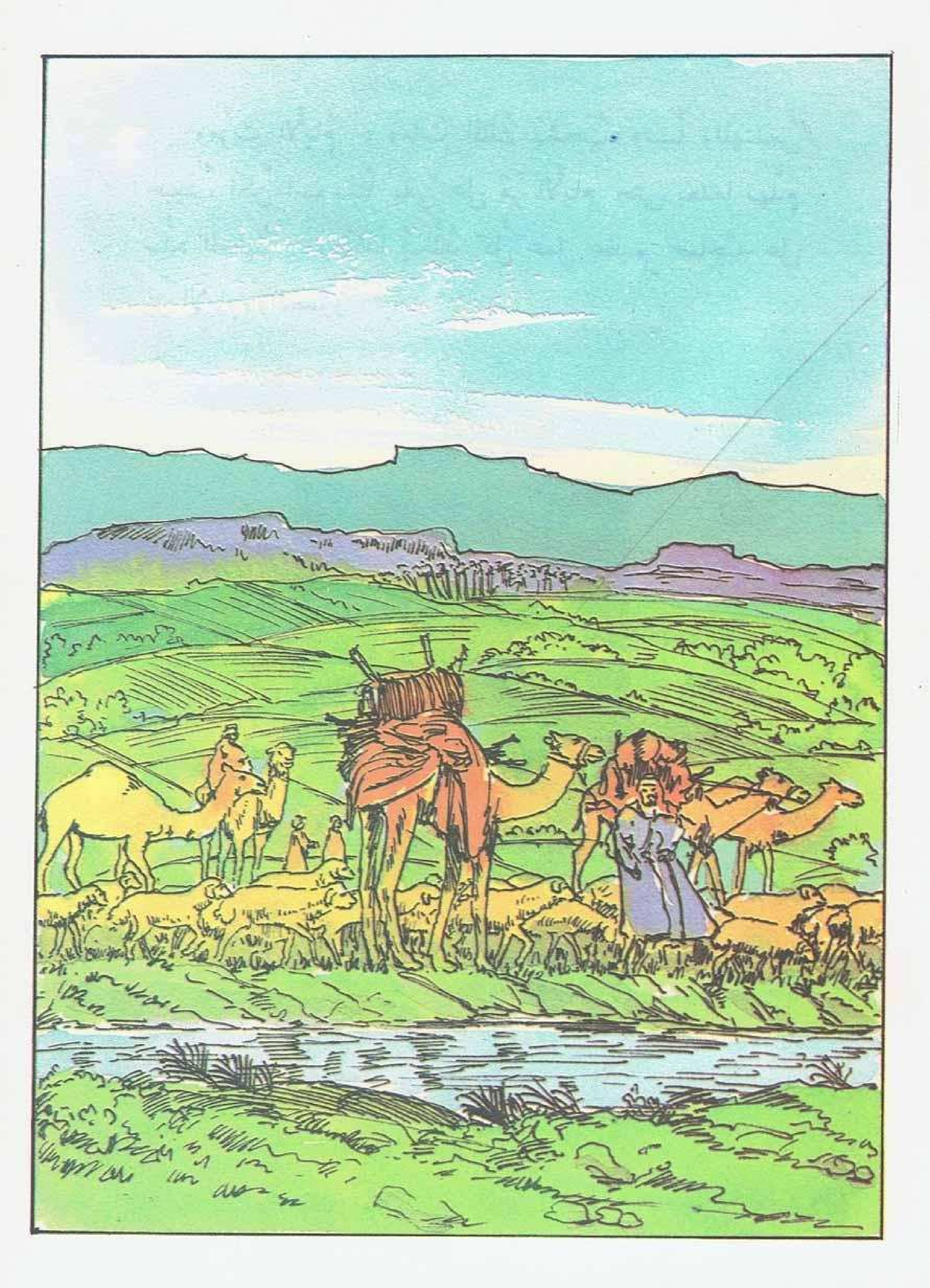
خرج أهالي اليمنِ كلُّهم ، رجالاً ونساءً ، يعملون في السدِّ بإشرافِ سبأٍ والمهندسِ حبيب . ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى بدأ السدُّ بالارتفاعِ شيئاً فشيئاً .

ولم يكن الملكُ أقلَّ اندفاعاً من ابنِه في تنفيذِ المشروعِ ، فصرفَ كلَّ ما لديه من أموالٍ في بناءِ السد .

وعندما انتهى بناؤه بعد شهورٍ وسنينَ طويلةٍ من العملِ الشاقِّ ، كانَ آيةً في الجمالِ وأُعْجوبةً هندسية لا مثيلَ لها في ذلكَ الزمان .

وبينما اليمنيون يحتفلونَ بانتهاءِ البناء ، هطلت الأمطارُ بغزارةٍ من السماءِ ، وبدأَت المياهُ تتجمع خلفَ السدِّ .

وعندما أقبلَ الربيعُ بدأَت المياهُ تنسابُ في الأَقنيةِ من السدِّ العظيمِ ، لتسقيَ المزروعاتِ ، وعمَّ الخيرُ جميعَ الفلاحين . وحَافظَ اليمنُ على اسمِهِ « اليمن السعيدِ » .



ومرَّت الأَيامُ ، وماتَ الملكُ يَشجبُ وسبأٌ والمهندسُ حبيبٌ لكنَّ اسم سبأٍ بقيَ على مَرِّ الأَيامِ حتى بعدما تهدَّمَ سدُّه العظيمُ . وهكذا يُخَلَّدُ كلُّ عملٍ عظيمٍ صاحِبَه على مرِّ الأَيامِ والعصور .





حكايات النفائس للأطفال

المجموعة الأولى } حكايات من الماضي

طبع في دار النفائس ص.ب ١١.٦٣٤٧ هاتف ٨١٠١٩٤- بيروت